| جمهورية مصر العربية | ٦ من ربيع الأول ١٤٣٩هـ |
| --- | --- |
| وزارة الأوقاف | ٢٤ من نوفمبر ٢٠١٧م |

(١)

## محمد (صلى اللهُ عَليهِ وَسلمَ)
## النبي الإنسان

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم : {قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، **وبعد** :

فإن الله (عز وجل) قد بعث رسوله محمدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هاديًا وبشيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا برسالةٍ خاتمةٍ عالميةٍ صالحةٍ ومصلحةٍ لكل زمان ومكان، فاستوجب ذلك أن يكون رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أسوة وقدوة للبشرية كلها قال تعالى: {لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّه وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}.

فلقد كان (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أبًا رحيمًا ، وزوجًا عظيمًا ، وصديقاً وفيًّا ، وقريبًا سمحًا، وجارًا كريمًا ، وتاجرًا أمينًا صدوقًا ، وغير ذلك من الصفات والأخلاق الحميدة التي سمت بخلقه لأن يكون عظيمًا كما وصفه الحق سبحانه وتعالى بقوله عز وجل:{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}، فرأى الناس فيه الأنموذج الأمثل للمنهج الذي وضعه الله للإنسان ، ولا عجب في ذلك ، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) يلتزم منهج القرآن في علاقته مع ربه ، وعلاقته مع الناس كلهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم؛ لذا لما سئلت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) عن خلق النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قالت : (كَان خُلقُه الْقرآن) .

إن المتدبر لسيرة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يرى أنه قد أسس قواعد ومبادئ ، وشرع أحكامًا أعلت من قيمة الإنسانية ، وحفظت لها كرامتها وأمنها في صورة حضارية تظهر واضحةً جليةً في كل مناحي حياته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كإنسان ، **فقد كان (صلى اللهُ عليهِ وسلم) زوجًا نعم الزوج** ، فهذه زوجه خديجة (رضي الله عنها) تصفه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بكمال إنسانيته فتقول: (إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ) ، ويظل النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) محبًّا ومقدرًا لها بعد وفاتها ، فكان (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول : (مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) خَيْرًا مِنْهَا ، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ) .

وفي مشهد إنساني رائع لزوج حنون مع زوجه يزيل النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أثر البكاء عن أم المؤمنين صفية، فَيمْسَحُ بِيَدَيْهِ الشريفتين عَيْنَيْهَا، ويهدأ من روعها، يقول أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ : (كَانَتْ صَفِيَّةُ مَعَ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي سَفَرٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَهَا فَأَبْطَأْتُ فِي الْمَسِيرِ ، فَاسْتَقْبَلَهَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَهِيَ تَبْكِي وَتَقُولُ: حَمَلْتَنِي عَلَى بَعِيرٍ بَطِيءٍ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَمْسَحُ بِيَدَيْهِ عَيْنَيْهَا وُيُسْكِتُهَا).

لقد عاش النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مع زوجاته أمهات المؤمنين حياةً طيبة تجلت فيها كل مظاهر المودة والرحمة ، والتواضع ولِين الجانب ، فلَم يتعالَ على زوجاته ولم يترفَّع عليهن ، بل أحسن معاملتهن جميعًا منطلقًا في ذلك كله من قول الله (عز وجل) :{وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}، ومن قوله سبحانه:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ

مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}.

**ومظاهر الإنسانية في حياته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أبًا وجدًا لا تقل روعة وعظمة عن مظاهر إنسانيته زوجًا** : فكان (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أبًا شفوقًا وجدًا رحيمًا ، يحمل لأبنائه وأحفاده كل معاني الحب والعطف والرحمة، وليس أدل على ذلك من قول الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، عندما أَبْصَرَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُقَبِّلُ الْحَسَنَ فَقَالَ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ) ، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضَعًا لَهُ فِي عَوَالِي – قُرى– الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ ظِئْرُهُ (زوج مرضعته) قَيْنًا – حدادًا– فَكَانَ يَأْتِيهِ وَإِنَّ الْبَيْتَ لَيُدَّخَنُ فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ).

وكان (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إذا دخلت عليه ابنته فاطمة (رضي الله عنها) يقوم لها ويقبلها بين عينيها، ويجلسها عن يمينه، بل ويخصها ببعض أسراره تكريمًا لها وإعلانًا لمحبته لها، بل وإعلاءً لشأن النساء جميعًا في شخصها (رضي الله عنها) .

ومن المواقف الإنسانية الراقية التي صحت عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أنه سجد يوما فأطال السجود، فلما قضى الصلاة، قَالَ النَّاسُ : "يَا رَسُولَ اللهِ ، لَقَدْ سَجَدْتَ فِي صَلاَتِكَ هَذِهِ سَجْدَةً مَا كُنْتَ تَسْجُدُهَا أَفَشَيْءٌ أُمِرْتَ بِهِ ؟ أَوْ كَانَ يُوحَى إِلَيْكَ؟ قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): ( كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنِ ابْنِي ارْتَحَلَنِي ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَعْجَلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ).

وعندما كان (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يخطب على المنبر وجد الحسن والحسين

يتعثران فنزل من على المنبر واستلمهما وقبَّلهما ، فعن عَبْد اللَّهِ بْن بُرَيْدَةَ ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبا بُرَيْدَةَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنَ الْمِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمّ قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ:{ إِنّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ } نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصّبِيّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا).

لقد كانت حياته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أعظم حياة عرفتها الإنسانيّة على مر التاريخ ، مفعمة بالحس الإنساني، والفضائل التي حباه الله (عزّ وجلّ) بها، يرعى الحقوق والواجبات، ويؤسس لبناء الأسرة السوية التي بها ينصلح المجتمع وتستقيم الحياة .

**ومن مظاهر الإنسانية في حياته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : حسن معاملته لأصحابه** ، فكان يشاركهم أفراحهم وأحزانهم ، ويهتم بشئونهم وأحوالهم ، ويراعي مشاعرهم في حياتهم وبعد مماتهم، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟) قَالَ: نَعَمْ كَثِيرًا، (كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ ، أَوِ الْغَدَاةَ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُ ) .

وقد تجلت إنسانيته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في معاملته لأصحابه، عندما وجد في نفوس بعض الأنصار شيئًا أن فضل عليهم في العطاء بعض حديثي الإسلام فجمعهم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ثُمَّ قَالَ: ( يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ؟ وَأَعْدَاءً

فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟) ، قَالُوا: بَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ. قَالَ: ( أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ) قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ. قَالَ: (أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ) قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا) ، بل كانت رعايته وحسن صحبته لأصحابه لا تنقطع بوفاتهم فهو القائل (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ، وَمَنْ تَرَكَ كَلًّا – أي عيالًا أو دينًا – فَإِلَيْنَا).

لقد خطا النبي الإنسان محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بالحضارة الإنسانية خطوات وثابة ، جعلتها ترتقي بقيمة الإنسان إلى منزلة سامية، ومكانة عالية لم يعرف التاريخ لها مثيلًا ، حيث رسّخ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) دعائم الأخلاق وأتمها ، وأعلى شأن القيم الإنسانية ورفع عمادها ، فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ).

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**

* * *

الحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلامًا على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**إخوة الإسلام :**

**ومن مظاهر إنسانيته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مع عامة المسلمين** : أنه رغَّب في إدخال السرور عليهم وقضاء حوائجهم ، وتفريج كرباتهم ، وإقالة عثراتهم ، والتيسير عليهم ، وقضاء حوائجهم ، وعيادة مرضاهم، واتباع جنائزهم وغير ذلك من المعاني الإنسانية التي رغب فيها رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وعدها من أحب الأعمال إلى الله (عز وجل) ، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)؟ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعَهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٍ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلِأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ، يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَثْبَتَهَا لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) قَدَمَهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ).

**ومن مظاهر إنسانيته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مع الناس جميعًا** : تقديره لقيمة الإنسان حيًّا كان أم ميّتًا بغض النظر عن لونه أو جنسه أو معتقده ، فعن قَيْس بْن سَعْدٍ ، وَسَهْل بْن حُنَيْفٍ ، كَانَا بِالْقَادِسِيَّةِ فَمَرَّتْ بِهِمَا جَنَازَةٌ فَقَامَا ، فَقِيلَ لَهُمَا : إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ ، فَقَالاَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَامَ ،

فَقِيلَ: إِنَّهُ يَهُودِيٌّ ، فَقَالَ : ( أَلَيْسَتْ نَفْسًا ؟!) ، وكان (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يعود المرضى من المسلمين ومن غير المسلمين.

إن مظاهر الإنسانية في حياة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لا تتوقف عند احترام غير المسلمين، والتعايش معهم في أمن وأمان ، وسلم وسلام فحسب ، بل تمتد إلى إعطاء الحرية لهم في اختيار عقيدتهم ، بل والسماح لهم بإقامة شعائرهم الدينية ، وتنظيم حياتهم الاجتماعية وفق شريعتهم ، مع عدم التعرض لكنائسهم وصوامعهم ، لا بالهدم ولا بالاستيلاء ، وهو بهذا يؤكد (صلى الله عليه وسلم) أن الدين الذي جاء به دين السماحة والرحمة للناس جميعًا.

**اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت**
**واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت** .